

عاشوراء الصدر في طهران

07-10-2019

الكتاب

مركز رووداو للدراسات

زريان رؤثهلاتى

كان ظهور مقتدى الصدر فى مراسم عاشوراء بطهران هذا العام، جالساً بين المرشد الإيرانى وقائد فىلق القدس، قاسم سليمانى، حدثاً هاماً يمكن أن يؤثر على السىاسة الداخلىة العراقية.

ظهر الصدر فى طهران بينما الخلافات الداخلىة بين شىعة العراق محتدمة والنقاشات حول كابىنة عادل عبدالمهدي الحكومىة مستمرة. إضافة إلى ذلك، بات جر العراق للزج به فى الصراعات الإقليمىة والدولىة موضوعاً لا مناص منه.

كفى يمكن أن نفهم ظهور الصدر هذا فى طهران؟ والأهم من هذا، ما التأثير الذى قد يتركه هذا على السىاسة الداخلىة العراقية؟

لماذا ظهر الصدر فى طهران؟

فىفضل مؤيدو الصدر أن تعد زيارته إلى طهران موضوعاً غير سىاسى وإكساءه طابعاً دينياً وشخصياً. بل أن البعض منهم يعد نشر صورة الصدر جالساً بين خامنئى وسليمانى موضوعاً سىاسياً محلياً إيرانياً. لكن يبدو أن الذين يتابعون سىاسات العراق والمنطقة يصعب عليهم تصديق هذا. لأن الصدر فى مراسم عاشوراء السابفة لم يظهر هذه الصورة كما أن علاقته مع المسؤولين الإيرانىين فائرة منذ فترة.

هناك رأى آخر يشىير إلى احتمال أن يكون مقتدى الصدر قد زار طهران للتخلص من عادل عبدالمهدي. لكن هذا أيضاً صعب التصديق. فرغم الضغوط والانتقادات، لىس هناك حتى الآن مسعى ملموس من جانب سائرون لتنحية عبدالمهدي.

بينما يرى آخرون أن الصدر قد يكون يعمل على الوساطة بين إيران والسعودىة، ويبدو أن هذا هو سبب زيارته إلى طهران. لكن فى الواقع، يوجد لدى إيران والسعودىة قنوات أقوى من العراق والصدر للتجاوز بينهما، حيث يمكنهما التفاوض من خلال بعض دول الخلىج العربىة أو حتى بصورة مباشرة، ولىس عن طريق الصدر الذى كان قد أشاح بوجهه عن الإيرانىين وأشاحوا بوجههم عنه منذ فترة.

عموماً، يمكن تحديد مجموعة أسباب لظهور مقتدى الصدر فى طهران:

أولاً: دور آفة الله كاظمى حائرى والمشكلة الداخلىة للشىعة فى العراق

بعد هجمات الطائرات المسىرة على قواعد ومقرات الحشد الشعبى، أعلن مقتدى الصدر أنه يعتقد بأن ذلك من عمل إسرائيل، ودخل فى خلاف مع قسم من قىادات الحشد الشعبى بشأن الانصاع لقرارات الحكومة ومسألة تشكيل قوة جوىة للحشد الشعبى. تزامناً مع تلك الأمور، أفتى آفة الله سىد كاظمى حائرى الكربلائى الأصل والمدرس فى حوزة قم العلمىة، بتحريم بقاء القوات الأمريكىة فى العراق. كما وصف حائرى الحشد الشعبى بـ"المقدس" فى فتواه. الكلام الذى يصدر من آفة الله حائرى يهم الصدر ولا يستطيع إغفاله. لأن والد الصدر أوصى الشىعة باتباع حائرى! وإذا لم يسمع الصدر لهذا، لىس ببعيد أن ينفر منه قسم من أتباعه "المقلدىن" لكاظمى حائرى. أغلب الظن هو أن الصدر لا يستطيع التراجع عن خطاباته السابفة بخصوص استقلالىة السىاسة العراقية، لكن المزيد من الصراع مع الحشد الشعبى (قسم منه) وإهمال ما يقوله حائرى، يحملان فى ثناياهما احتمال المزيد من الانشقاق بين الصدىين، ومن المستبعد جداً أن يقدم الصدر الآن على مخاطرة كهذه.

حذر الصدر الحكومة العراقية عدة مرات، وأمل منها أن تلتزم الحىاد ولا تمىل إلى البعض. يمكن أن يكون هذا إشارة إلى منح مناصب هامة لبعض المسؤولين الصدىين ومىلان السىاسات لصالح الكتلة المخالفة للصدر. كما يمكن للمحادثات مع المسؤولين الإيرانىين أن تؤثر على المشكلة بين الصدر والجهات المكونة للحكومة.

ثانياً: علاقة الصدر المتذبذبة ولكن المستمرة مع إيران

ىنتمى الصدر إلى عائلة شىعىة معروفة تعد نقطة التقاء سىاسىة ومذهبىة فى العراق ولبنان وإيران. القرابة بين صدىرى العراق ولبنان والتقاؤهم فى بیوت الخمىنى وخاتمى (بایران) عن طريق الزواج، عقدة فى تلك العلاقة السىاسىة - المذهبىة. إضافة إلى ذلك، فإن لزعمى حزب الله اللبنانى، حسن نصرالله، علاقات قوىة مع عائلة الصدىين وىمكن أن يكون له دور فى العلاقة بين إيران والصدر.

يطلق المكتب الخاص لمقتدى الصدر صفة "حجة الإسلام والمسلمين" عليه وهي الثالثة في الترتيب بين خمسة ألقاب روحانية شيعية. لكن المقربين منه لا ينفون رغبته في الفوز بلقب "آية الله" الذي يبدو أن نوعية علاقاته مع حوزة قم (إيران) وحوزة النجف (آية الله علي السيستاني) هي التي تعيق نيته هذا اللقب حتى الآن، وقد درس مقتدى الصدر (الخارج) في قم، ودراسته واحدة من شروط الفوز بلقب آية الله. لكنه لم يبلغ مراده ذلك حتى الآن. رغم إقامته في إيران لسنوات وتلقيه الدروس الدينية، فإن الفتور اعترى علاقاته السياسية مع طهران منذ النصف الثاني من العقد الأول من هذا القرن، حتى بلغ الأمر بمؤيدي الصدر إلى مواجهات مع الفصائل الشيعية المقربة إلى إيران وترديد شعار "يا قاسم سليمان... هذا الصدر رباني" ضد قائد فيلق القدس الإيراني، قاسم سليمان. تجاوز الصدر السياسة المذهبية إلى خطاب قومي - ديني وكانت النتيجة تعزيز علاقاته مع السعودية والدول السنية، وكان قد أعلن في وقت سابق أنه يعارض التدخل في الشأن الداخلي العراقي ويرفض تحويل العراق إلى ساحة لمعاداة جبرانه في إشارة إلى المشاكل بين إيران وأمريكا والدول الأخرى. لكنه مع ذلك لم يقطع صلاته بإيران وعلى المستوى المحلي العراقي، وبالنتيجة وافق على دعم تشكيل الحكومة جنباً إلى جنب قوى تعرف بأنها مقربة إلى إيران.

ثالثاً: مفاجآت الصدر

يعرف مقتدى الصدر بأنه شخصية تصدر عنها بين الحين والآخر قرارات مفاجئة. ففي الآونة الأخيرة مال إلى استخدام "تويتر" ونشر رسائله عبر هذا التطبيق. الأمر الذي جعله إلى حد ما يشبه الرئيس الأمريكي دونالد ترمب!

اتخذ مقتدى الصدر عدة قرارات ثم تراجع عنها. مثل حل جيش المهدي ليعود بعد ذلك إلى إعادة تشكيله تحت مسمى "سرايا السلام"، وقرار الابتعاد عن ممارسة السياسة التي عاد إليها فيما بعد. فيمكن أن يكون ما يجري هذه المرة أيضاً قراراً آخر من قراراته المفاجئة لتحسين علاقاته مع إيران.

النتيجة

لا يمكن لزيارة مقتدى الصدر إلى إيران بعد مرحلة من الفتور في العلاقات مع طهران، أن لا تكون سياسية. فالمكانة الدينية - السياسية للصدر مرتبطة بالعالم الشيعي وفيه مجموعة نقاط كالروابط العائلية والدينية التي تربطه بإيران. أضف إلى ذلك، فإن مكانته السياسية في السياسة العراقية الحالية وأوضاع الحكومة مرتبطة إلى حد بعيد بطريقة تعامل الصدر مع الفصائل المقربة من إيران، وبخلاف ما يشاع، ربما لن يكون تغيير عادل عبدالمهدي في هذه المرحلة في صالح الصدر وهذا مرتبط إلى حد بعيد بتهدئة التوترات الداخلية التي لا يمكن إغفال دور إيران فيها.

هناك احتمال كبير أن يؤدي ظهور الصدر في طهران بين خامنئي وسليمانى على المدى القريب على أقل تقدير إلى تخفيف الخلافات الداخلية الشيعية وخاصة خلافات الصدر مع قسم من الحشد الشعبي.